عسكر أمريكا أمام خيارين : 'بلقنة' أفغانستان أو السقوط في مستنقع الصراعات الداخلية !

خالد حسن

واصل المسؤولون الأمريكيون في التأكيد على أن التزام وتعهد القوات الأمريكية في أفغانستان سيطول، وبما أن صعوبات تحقيق "الاستقرار" في بلاد الأفغان على الطريقة الأمريكية تشتد يوما بعد يوم، الأمر الذي يحصر المخططت الاستراتيجية لواشنطن في أفغانستان بين خيارين، إما تعزيز الحضور الأمريكي خلف الحكومة الحالية، أو التطلع إلى "إبداع" حلول على شاكلة "البلقنة"؟!وكشف مسؤولون أمريكيون خلال الأسابيع الأخيرة أن القوات الأمريكية ستظل "جاثمة" في أفغاستان لفترة طويلة، وذكر كل من وزير الدفاع رامسفيلد وقائد القوات الأمريكية في أفغانستان تومي فرانكس أن الحضور الأمريكي سيبقى مهما، وأضاف رامسفيلد مؤخرا أن الأولوية في أفغانستان غُيرت من القضاء على رؤوس القاعدة وطالبان إلى نقوية ودعم الحكومة الجديدة! وبما أن هدف أمريكا على المدى القصير هو القضاء على القاعدة وابن لادن، فإن هذا يتطلب قدرا معتبرا من التعاون داخل بلاد الأفغان، وهو ما عجزت عن توفيره القوات الأمريكية. إذ لازالت الانقسامات العرقية، تجارة المخدرات وانتشار الأسلحة وتكاثرها تضاعف ظهور العراقيل في وجه الأهداف الأمريكية في المنطقة على المدى البعيد. ويواجه صناع السياسة الأمريكية خيارا حاسما وصعبا في أفغانستان، وبإمكانهم الاستمرار في دعم الحكومة المركزية –غير الشعبية وغير الشرعية- من خلال الضخ المالي، الغذائي والعسكري (مع مخاطر الاستنزاف العميق من الصراعات الداخلية القديمة) كما أنه بمقدورهم أن يتطلعو إلى إيجاد حلول أقرب إلى الصيغة البلقانية! وفي كلتا الحالتين، فإن الفشل أضمن من النجاح!

خلال الأسابيع الأخيرة، حصلت عدة مناوشات بين القوات الأمريكية وقوات القاعدة وطالبان، وحسب تقارير، فإن قيادة العمليات – لطالبان والقاعدة- غيرت "تكتيك" الضربات، في اتجاه التركيز على قوات التحالف الغربي، بدل حكومة كرازاي، وليس معنى هذا أن القوات الأفغانية بقت خارج المعركة، حيث إنها غارقة في النزاعات العرقية المحلية، وصراع موازين القوة والتكتلات التي عادت بقوة إلى السطح على امتداد البلد!.

وإذا كان بإمكان أمريكا أن تمضي في وقوفها خلف حكومة كرازاي، فإن هذا الأخير لا يحظى بشعبية تذكر، ورغم التحذيرات، فإن "رجل أمريكا" عجز عن إظهار قوته في مواجهة أمراء الحرب في الأقاليم الشرقية. وحتى لو حاول كرازاي شن حملة عسكرية ضد أمراء الحرب "المتمردين"، فإنه بهذا يعاكس طموح واشنطن على المدى القريب في إبقاء علاقات وثيقة مع هؤلاء الأمراء والقيادات القبلية والعرقية طمعا في ضمان مساعدتهم في حربها ضد القاعدة وطالبان.

وإذا قررت الولايات المتحدة الوقوف بحزم وراء الجكومة المركزية، من المحتمل أن تجد نفسها متورطة بعمق في النزاعات الداخلية، ومع حيازة حكومة كرازاي على "بدائيات" عسكرية، فإن القوات العسكرية "مطالبة" بضمان تفاصيل وجزئيات أكثر من الحرس الشخصي لرئيس الحكومة. التورط الموغل في ترسبات حقب قديمة إن لم تكن قرون من الصراعات، ومحاولة إقامة حكومة "وحيدة" (مركزية) على امتداد أفغانستان، من شأن هذا وذاك أن يبقي واشنطن في الموقع نفسه الذي "تورطت" فيه روسيا وبريطانيا في يوم ما في دولة آسيا الوسطى.

ويرى بعض المحللين، أن واشنطن قد تتجاهل السلطة المركزية، وتعقد عددا من الصفقات الصغيرة مع القيادات المحلية. وحسب هؤلاء، فإن "بلقنة" أفغانستان على

طول خطوط الأعراق والكتل قد يحفظ البلد من السقوط في الهاوية من دون أن يتطلب هذا التزام عسكري مكلف ومستنزف، وعليه، ومحاكاة بالوضع الحالي في البوسنة، فإن العمليات في أفغانستان ستتركز على إبقاء المقاطعات الشخصية والخاصة (التي لا تخضع لهيمنة الحكومة المركزية) بعيدة عن الاقتتال الداخلي، وهذه الاستراتيجية - في نظر المراقبين- نجحت إلى حد ما في تحقيق الاستقرار في البوسنة!. ولكن هذا خيار ليس قابلا للتطبيق إجمالا، باعتبار أن تدخل واشنطن سيوصف بأنه "تقطيع أوصال" البلد، وقد يؤدي إلا رد فعل أعنف من الحالي من طرف القيادات المحلية!. ويبدو أن احتمال تمسك واشنطن بخيار دعم حكومة كرازاي هو الوارد حاليا ، وهو نفسه "الخيار" الذي سيجر أمريكا إلى "الوحل الأفغاني"!